في القلبِ مسكَنُه

قصة حياة الدكتور يوسُف فندي الجبوري (رحمه الله)

© حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف

- الموضوع:
- العنوان: في القلبِ مسكَنُه قصة حياة الدكتور يوسُف فندي الجبوري (رحمه الله)
- التأليف: نَكتل يوسف مُحسن

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م

ISBN:

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ببغداد:

طباعة: مطبعة نركال: العراق / الموصل / المجموعة الثقافية

الناشر: دار نون للطباعة والنشر

تنضيد: مكتب زيد خروفة

القياس: ١٧×٢٤

Email: muhammedyounes51@gmail.com

07709176176

07507070150

في القلبِ مسكَنُه

قصة حياة الدكتور يوسُف فندي الجبوري (رحمه الله)

نكتل يوسف محسن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

البقرة :

٢٢٧

إالى روح أخي الدكتور يوسف فندي أحمد

الجبوري وشهداء نينوى والعراق

أهدي هذا الجهد المتواضع

نكتل يوسف محسن

تـــوطـئـة لابــد مــنـهــا

الحمد لله ذا النِعم، علم الأنسان بالقلم، والصلاة والسلام على النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه وسلم.

تمثل كُتب السّير الذاتية والقصص الشخصية باباً مهماً من أبواب المعرفة الخاصة بشخص ما دون غيره، فهي تجمع المتعة والمعرفة والتزود بالمعلومات الشخصية لصاحب السيرة التي قد لا توجد عند غيره، كالأسرار التي يبوح بها لصديق أو رفيق أو قريب، كما أنها تمثل جانباً مهماً من جوانب الوفاء عند البشر، ومصدراً مهماً من مصادر التزود بالطاقة الايجابية من خلال الاطلاع على قصص الكفاح والمطوالة والمثابرة، وتزداد السير الذاتية قيمةً إذ كان صاحب السيرة أنسان ناجحاً ومميزاً أو قد شغل وظيفة مهمة في بلد ما، فما بالك ببطل قصتنا وصاحبها الذي كان مكافحاً مثابراً متفوقاً صاحب خلق وألتزام وعفاف، ومن هنا جاء أختياري لعنوان القصة الموسومة : " **في القلب مسكنه** " للحديث عن حياة الدكتور يوسف فندي أحمد الجبوري، الذي قضى في عمليات تحرير نينوى نحسبه عند الله شهيداً والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

جاءت السيرة الذاتية بصيغة قصة أدبية طويلة، والتي مثلت التجربة الأولى لي في هذا الميدان بعيداً عن حقل التخصص : " التاريخ

الاسلامي "، وتكونت القصة من تسعة فصول مثلت المفاصل المهمة من حياته (رحمه الله)، سبقتها بتوطئة لا بد منها ثم مدخل تحدثت فيه عن زملائنا البنين والذين تجاوز عددهم الثلاثين وعلاقتهم مع الدكتور يوسف ووصف عام لكل فرداً منهم، تحدث الفصل الأول والذي حمل عنوان " ولادة البطل ونشأته " عن ولادتة يوسف ونشأته وأسرته وركزت على الأكثر تأثيراً عليه : والده العم فندي أحمد حفظه الله، أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان "وأجتزت البكالوريا بتفوق"، تحدثت فيه عن رحلته مع المرحلة الإعدادية وصولاً لإنهاء الدراسة فيها، في حين حل الفصل الثالث الذي حمل عنوان : "حين أقترب موعد اللقاء" وتمثل في حياته الجامعية الأولى حيث كان اللقاء الأول معي ومع بقية زملائه في قسم التاريخ، أما الفصل الرابع فكرس للحديث عن صفاته الجليلة وحمل عنوان : "صفاته كما رأيتها"، وكان الفصل الخامس مخصصاً للحديث عن أوقاته التي قضاها في المكتبة المركزية مع الحديث عنها وعن الذكريات التي بقيت عالقة في الاذهان في ذلك المكان الجميل الرائع وشيئاً عن موظفي المكتبة، أما الفصل السادس فقد خُصص لعلاقته مع البروفيسور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم حيث كان له تأثير كبير عليه من خلال تدريسه أياه في مرحلة البكالوريوس ومرحلة الدرسات العليا (الماجستير والدكتوراة)، أما الفصل السابع الذي حمل

عنوان " أشخاص ومواقف مميزة في حياته رحمه الله" حيث وضحت به علاقاته التي ارتبط بها مع عدة أشخاص كان لهم تأثيراً كبيراً عليه في مسيرته العلمية والحياتية ويأتي في المقدمة البروفيسور موفق سالم الجوادي (حفظه الله) والأخ الدكتور طارق موسى وغيرهم، أما الفصل الثامن فتحدثت فيه عن علاقته مع أساتذته في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة الموصل حيث أطلت الحديث عن ثلاثون تدريسياً وتدريسية مع شيء عن تخصصهم وصفاتهم وهو من باب الوفاء لهم ولجهودهم الطيبة .

وأخيراً كانت خاتمة حياته في فصل حمل عنوان "عندما أرتقت روحه إلى السماء" الذي مثل الجزء الأصعب من القصة، إذ ليس من السهل ان ينعي الإنسان نفسه، وأن يفقد الجسد روحه .

لا توجد صعوبات تذكر في كتابة هذه القصة بأستثناء مشاعر الحزن والألم والفقد التي رافقت الكاتب خلال كتابة القصة، للحد الذي توقفت فيه عن تدوين فصولها مرات عديدة بسبب الالم التي حملته لي الذكريات، لا بل ان الدموع التي كانت تنساب عند ذكرى معينة – أثناء الكتابة - كانت تمنع رؤيا الكلمات على جهاز الحاسوب (اللابتوب)، ولكنها وإن كانت كذلك فهو أمر لا بد منه كما يقول البروفيسور ناصر عبد الرزاق

الملا جاسم : الحياة العلمية جديرة بأن توثق حتى مع كل ما تحمله من الآم، الا أنها أمانة للتاريخ يجب ان تبلغ .

وفي الختام أقدم شكري وتقديري لكل من قدم لي أي معلومة أفدت منها وأخص بالذكر الدكتور خليل عبد الله الجبوري، والاخ الاستاذ عبد الرزاق حسن والاخ الاستاذ محمود الجومرد الذي راجع القصة مراجعة لغوية، ولا أدعي الكمال في غير ميداني، فإن كنت قد أصبت فذلك توفيق الله العزيز العليم، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والخير أردت، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هكذا ابتدأت القصة

في صباحٍ من صباحات أيلول القائضة في سنة ٢٠٠٤م، ومع بَدْءِ الدوام الرسمي في الجامعات الحكومية، التقت عيني بزُملائي لأوّل مرّة، وعلى الرّغم من أنّ اللقاء الأول كان بارداً يحمل أحاسيس ومشاعر متشابكة ومُركّبة ومتضادّة في آن واحد، فقد غمر اللقاءَ الخَجلُ، واعتراهُ ما يعتري اللقاءاتِ الأولى من الحَياء وعدم الارتياح والاشتياق والتلهُّفِ...

غيرَ أنّ تواليَ الساعات والأيام، طرَد رويداً رويداً ما أحسَسنا فيه في البداية، وبدأتْ شمسُ علاقتِنا بالشروق، فأُزيحَت عنها الغيومُ والحُجُبُ، وارتقت عمودية ذات السنة شديدة الدفئ، فاتصل دُفؤُها اتصال الأفُق، وامتدّ امتداد دجلة الخالد، غيرَ أنّه لم يَصُب في شط العرب، فقد صبَّ في أرواحنا فحمَلَته الأرواحُ ألى عالم الذكريات ولازالَ جاريا في مُخيّلتِنا إلى الآن.

لم تكن العلاقة بين طلبة قسم التاريخ الذين تجاوزوا (السبعين) واحدةً، إذ تأرجحت تأرجُحَ رقّاصِ الساعة فيه، فما بينَ الزمالة والصداقة والأُخُوّة خطوط مُسنّنة ترسُم عُمق العلاقة وسطحيتها، ولأنّ الأُخُوّة مهرُها غالٍ فقد نجحَ أفرادٌ قلائلُ في بذل الروح و العقل والوقت والجهد، فحازوا مرتبة الأُخُوّة ونالوا مركزها، أمّا السواد الأعظم منهم، فكانت علاقتهم معنا تشبه علاقة النار بالحطب فوجوده يساعدها على الاستعار وفَقدِه يُسهم في

انطفاءِها، هكذا تماماً كانت العلاقة إذ كانت مرهونة في استمرار الدوام فإن انتهى، أنهوا تواصلهم معنا، ومع هذا يبقى وجودهم في الذاكرة مستقراً، فهم شركاء الأوقات السعيدة واللحظات الصعبة.

ومن الأفراد القلائل الذين أسعفتهم الظروف في التواصل معنا وأسعفتني الذاكرة المتعبة المنهكة في تذكرهم، الطالب والأخ العزيز (محمود جرجيس) صاحب أجمل مُحيّا قد تجدُه في القسم، وطبعاً يوسف فندي – بطل هذه القصة - و(سيف محمد) الشاب الباسم دائماً المتكاسل عن التحضير، إضافة إلى (محمود مال الله) الأنيق الذي كان يهتم بترتيب نفسه وهِندامه وتحضيره، و (أكرم طه) الهادئ دائماً وعلى طول الخط، و(قتادة عماد) القادم من محافظة الأنبار(*) ومعه (إياد) و(أثير) من ذات المحافظة، و(كمال عاشور) و(منتصر محمد) من أهل تلعفر(*)، و(جاسم طالب جاسم) من أهل بغداد الحبيبة من ذوي الأصول الأنبارية العربية، و(أكرم جمعة)

(*) الانبار: أكبر محافظة عراقية من حيث المساحو وتقع في المنطقة الغربية من العراق ومركزها الرمادي ويسكنها قبائل عربية كثيرة أبرزها الدليم.

(*) تلعفر: قضاء كبير في محافظة نينوى يسكنه التركمان العراقيون مع بعض القبائل العربية ويشتهرون بالزراعة.

ابن الحويجة[*] في كركوك، و(زمن صاحب) الشاب الأسمر الدائم الترحال، و(مظهر اللهيبي) خفيف الظل؛ و(عماد) و(غسان الدلفش) أبناء ناحية الكوير في شمال محافظتنا العزيزة، والشاب الطيب (مهند عبد الكريم)، و(علي بنيان) الطالب الأسمر الدائم الابتسامة، و(عبد الله محمد السبعاوي) الشاب البارز، و(أحمد شفيق) الشاب الهادئ الملتزم بالتحضير، و(محمود جاسم) صاحب الأخلاق الطيبة والطرفة الواضحة، و(أحمد حسيب) صاحب القلب الطيب، و(عمار أحمد) و(أكرم علي) و(عبد الرزاق حسن) من الشرقاط[*] والذي كان خفيف الظل، و(أحمد تاج الدين) الشاب الذي غادرنا مبكراً إلى كلية التربية، و(يونس علي) الشاب المهذّب الذي أكمل دراسته وأصبح تدريسيا في الجامعة، و(هوشيار عبد الأحد) الإنسان الهادئ صاحب الأخلاق، و(ناظم أبو مدين) الشاب الاجتماعي الذي كان يجيد كتاب الشعر ولا سيما الشعبي منه، والأخ (عبد الإله المولى) في الشعبة – ب - صاحب الخُلق الدمث، ولا أنسى الأخ (مروان محمود) صاحب الأخلاق الطيبة الذي لم نجد منه إلا ما يسرنا، والأخ (مراد الهركي) المنزوي دائما

(*) الحويجة : قضاء في محافظة كركوك يشتهر بالزراعة ولا سيما زراعة الحبوب ويسكنه لفيف من القبائل العربية الاصيلة.

(*) الشرقاط : قضاء تابع لمحافظة تكريت يسكنه العديد من القبائل العربية منها الجبور، ويشتهر القضاء بالزراعة وتربيو المواشي.

على نفسه، وعدد كبير من أخواتنا الطالبات واللواتي لم أذكر اسمائَهن لِتجنُّبِ الإحراج، لَهُنّ منّي كلّ الاحترام.

سارت أيامُنا سيرةَ الدنيا وأحوالها : أحزانٌ ومسرّات ومطاولة وكفاح، تعرّفنا من خلالها على أعظم أساتذة، نهَلْنا منهم العلمَ وتزودنا بالأدب، منهم الدكتور (موفق الجوادي) صاحب العلم الجَم والخُلق الرفيع والالتزام الصحيح، والدكتور (ناصر الملا جاسم) صاحب الابتسامة المُعبّرة عن التفاؤل الذي كنا نعتبره واجهة القسم التقنية وعقلها المُحدث، والدكتور(بشار أكرم) صاحب الحلم الرائع واليد الممتدة بالخير، والدكتور (عبد الله عرفات) الذي ما فَتِئَ يشجعنا على الدراسة ويُرغّبنا فيها، والدكتور (سلطان جبر) الرجل التلقائي في تعامله الباسم الوجه على الدوام، ومعه الدكتور (ذاكر العراقي) الذي وضَع أبجديات تفكرينا في التاريخ المعاصر، و الأستاذ (نايف شبيب) الشاب المحبوب، والست (نُسيبة عبد العزيز) التي أثّرت فينا بُخلُقها واجتهادها، ومعها الستُّ رابِحة التي كان لها الأثر الطيب فينا... ألخ.

في خارج إطار الجامعة ألقت الأقدار في طريقنا شاباً كان صاحبَ مكتبة في المجموعة الثقافية، يُدعَى (طارق موسى) الذي كانت معرفتنا به تمثل مكسباً عظيماً، ليس في هذه اللحظة فقط، بل في مستقبل حياتنا

العلمية والشخصية، إذ كان له معنا مواقف مشرفة يُشكَر عليها، كما عمل معه في المكتبة شاب جليل تخرج من كلية الهندسة يُدعَى (أحمد كاظم) ويُكنّى : أبو عبد الله، ربطتنا علاقة طيبة فيه فترة الدراسة واستمرّت إلى الآن.

سارت أيامنا الدراسية حميدة، اجتهدنا وتعبنا وحصلنا على مُرادنا، تمضي الشهور تلوَ الشهور، فتكون السنين التي تُقتضَبُ من العُمر، ونحن في هذا نقطع المراحل الأربعة للبكالريوس الواحدة بعد الأخرى، فننجح ونتميز ونتبارى ونتنافس، لِيقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً، ولم تكن علاقتُنا لِتدومَ على وتيرة واحدة، فمِن قوة العلاقة إلى فُتورها أسباباً صنعت هذا الواقع.

أنهينا دراستنا الأولية فتشتّتَ شملُنا وغاب تواصلُنا، نادراً منّا مَن تعيّن، وجمعٌ كبيرٌ من رَضوا في الأمر الواقع وعملوا بالأعمال الحرة لِيتركوا ما تعلّموه مدة ستة عشر عاماً في غياهب النسيان، وأفرادٌ لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة هم من قرّروا، تحدي الواقع وتحمّل الألم ومزجَ العلم بالعمل والتقديم للدراسات العليا، وكنت (أنا) و(يوسف ومحمود جرجيس) و(محمود مال الله) وأختين من أخواتنا ضمن هذه الفئة، فقد قاومنا الإعياء وتحمّلنا الجهد مدّة سنتين وحصَلنا على الماجستير في التاريخ.

بعد إكمال الماجستير تقاطعت طرقنا وتفرقت اهتماماتنا، فقد حصلتُ على فرصةٍ للتعيين مدرساً في إحدى المدارس، فيما قرّر هو بعد يأسه من التعيين إكمال دراسة الدكتوراة، وبين الفينة والأخرى كنّا نتقابل ونتحدّث فيُحدّثني عن دراسته وعن مُشرفه المميز الدكتور (ناصر الملا جاسم) الذي أشرف عليه في الماجستير أيضاً، وأحدثه عن التدريس وهمومه والارتباط الوظيفي وأعباءه...

يسير الزمن للأمام ويوسف لا يزال يكابد الحياة جاهداً، يعمل كسائق أجرة في الليل ويُكمل دراسته في النهار، إلى أن حصل تغييراً، ليس على المستوى الشخصي فقط، بل على المستوى العام، فقد استطاعت الفصائل المسلّحة السيطرة على مدينة الموصل، وانسحبت القوات الأمنية، في حادثة فريدة في ذاتها كان لها تأثيرات على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية والسياسية.

فقد ساءت أحوالُ الناس في الموصل، إذ انحصروا بين المتقاتلين على المدينة، تضرّر أناسٌ كثرٌ وكان أكثرَ المتضررين هم محدودوا الدخل، وكان يوسف وأسرته من هذه الفئة.

وبين مدّ وجَزْر وقصفٍ وهجرٍ قضى الكثيرُ من أهل المدينة تحت أنقاضِ بيوتهم، فقد كانت حرباً شعواء ذكّرتنا بما قرأناه عن أهوال يوم القيامة.

محتويات الكتاب

ت	المحتويات	الصفحة
٣	توطئة لا بد منها	٨
٤	هكذا ابتدأت القصة	١٢
٥	الفصل الأول : وِلادة البطل ونشأته	١٨
٦	الفصل الثاني : واجتزت البكلوريا بتفوق	٢٨
٧	الفصل الثالث : حين اقترب موعد اللقاء	٣٧
٨	الفصل الرابع : صفاته كما رأيتها	٤٧
٩	الفصل الخامس : في المكتبة المركزية	٥٧
١٠	الفصل السادس : مع الدكتور ناصر الملا جاسم	٦٥
١١	الفصل السابع : أشخاص ومواقف مميزة في حياته	٧٧
١٢	الفصل الثامن : مع الأساتذة في قسم التاريخ	٨٧
١٣	الفصل التاسع : عندما ارتقت روحه ألى السماء	٩٥
١٤	السيرة الذاتية للكاتب	١٠٩
١٥	المحتويات	١١٥

فـي هـذه الـقـصة

لم تكن لديَّ رغبةٌ في اقتناصِ دورٍ في الحياة غيرَ دوري، ولم أكن يوماً مُتطفّلاً على حقّ غيري أو تخصُّصِه، ولكنّي صاحِبٌ فَقَدَ صاحبَه وجسدٌ فَقَدَ روحَهُ، ولذا كتبتُ قصته وأنا متأكد أن من عرِف يوسف (رحمه الله) عن قُرب، أيقن تمام اليقين أن قصته تستحق أن تُكتب ، وأن من سيقرأ سيكتشف أن حياته هي مِثال : للإنسان المكافح المثابر الناجح المميز الصابر شأنه في هذا شأن شبابنا المكافح في الموصل الحبيبة والعراق العظيم.

نكتل يوسف محسن